الحقيقة والمجاز
في القرآن الكريم

دكتور
السيد محمد دسوقي
الأستاذ المساعد بقسم التفسير

(٧ – الحولية)

من الأمور الثابتة التى لاخلاف عليها بين العلماء وجود الحقيقة فى القرآن الكريم .

والمراد بالحقيقة : كل كلام بقـــى على موضوعه ولا تقديم فيه ولا تأخير .

وذلك مثل الآيات التى لم يتجوز فيها، وهى الآيات التى تنطق ظواهرها بوجود الله تعالى ووحدانيته وتنزيهه والتى تدعو إلى أسمائه وصفاته من ذلك قوله تعالى [هو الله الذى لاإله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ؛ هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم](١) .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى (أفرءيتم ماتمنون . أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ، نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين . على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فى ما لا تعلمون ، ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون . أفرءيتم ماتحرثون ، أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون : لو نشاء لجعلناه حطاما فظللتم تفكهون ، إنا لمغرمون ، بل نحن محرومون . أفرءيتم الماء الذى تشربون . ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ، لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون . أفرءيتم النار التى تورون . ءأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون)(٢)

بهذه الآيات وما اشتملت عليه من كلمات وألفاظ تدل بظواهرها على

(١) سورة الحشر ٢٢ — ٢٤

(٢) سورة الواقعة ٥٨ — ٧٢

ماوضعت له وليس فرع من المجاز شىء ولذلك فهى من باب الحقيقة التى فى القرآن الكريم ، والقرآن ملىء بهذا النوع .

أما بالنسبه للمجاز فى القرآن الكريم فهناك من أنكر وقوعه منهم ابن القاضى من الشافعية وابن خويز منداد من المالكية : وحكى عن داود الظاهرى وابنه وأبى مسلم الأصبهانى(١)

وقد تعلق هؤلاء المنكرون بشبهة واهية حيث قالوا : إن المتكلم لايعدل عن الحقيقة إلى المجـــاز إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير وهو مستحيل على الله تعالى ومن شبهتهم أن المجاز أخو الكذب والقرآن منزه عن ذلك .

وهى شبهة داحضة واهية فلو وجب خلو القرآن من المجاز لوجب خلوه من التوكيد والحذف وتثنية القصص وغيره وهذا يؤدى إلى فقدان شطر الحسن فى القرآن الكريم فالمجاز هو شطر الحسن ولقد اتفق أهل البلاغة على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ولذلك فقد ذهب الجمهور إلى وقوع المجاز فى القرآن الكريم وهو الصحيح والحجة معهم والدليل يؤيدهم كما يتضح من عرضنا لهذا الموضوع .

أنواع المجاز

وله سببان : الأول : الشبه ويطلق عليه المجاز اللغوى وهو الذى يتكلم فيه علماء الأصول .

والثانى : الملابسة : ويطلق عليه المجاز العقلى أو المجاز الإسنادى وهو مايتكلم فيه علماء اللغة وهو أن تسند الكلمة إلى غير ما هى له أصالة بنوع

(١) البرهان فى علوم القرآن جـ ٢ صـ ٢٥٥

من التأويل كإنسان ما يسب أباه ولم يسبه مباشرة وإنما كان سبباً فى سبه لأنه سب أبا الرجل فسب الرجل أباه وتذكر فى هذا المجال حديث رسول الله ﷺ فقد روى مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال (من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا : يارسول الله وهل يشتم الرجل والديه قال : نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه) .

المجاز فى المركب مثاله قوله تعالى (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون)(١)

وقوله تعالى (ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما) فقد أسند النزع الذى هو فعل الله إلى إبليس اللعين لأنه كان سببا فى أكل الشجرة وسبب الأكل وسوسته وتقاسمته إياهما أنه لمن الناصحين لهما .

وقوله تعالى : يوم يجعل الولدان شيبا)(٢)نسب الفعل إلى اليوم لوقوعه فيه ويحتمل أن يكون المعنى يوم يجعل هوله فيكون الإسناد إلى هوله يوم القيامة لا إلى الظرف فيكون حينئذ من مجاز الحذف .

(١) سورة الأنفال آية ٢
(٢) سورة المزمل آية ١٧

المجاز فى المفرد وهو أنواع كثيرة نذكر منها مايلى

الأول : إيقاع المسبب موقع السبب مثال ذلك قوله : (يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما(١) .

فإنه لم يقل « لا يفتننكم الشيطان كما فتن أبويكم » لأن الخروج من الجنة هو المسبب الذى نشأ عن الفتنة فوقع المسبب وهو الخروج من الجنة موقع السبب وهو الفتنة فالنهى فى الأصل وحقيقة الأمر لبنى آدم والغرض عدم وقوع هذا الفعل منهم فلما أخرج السبب من أن يوجد بإيراد النهى عليه كان أدل على إمتناع النهى من باب أولى ومن ذلك أيضاً قوله تعالى (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً)(٢) هم لم يأكلوا النار فى بطونهم حقيقة وإنما أكلوا أموال اليتامى فاستلزم ذلك أكل النار فى البطون .

الثانى : إيقاع السبب موقع المسبب وهو عكس الأول مثال ذلك :— قوله تعالى (فمن أعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما أعتدى عليكم)(٣) .

فقد سمى الشىء باسم سببه لأن رد العدوان لا يسمى أعتداء ومنه قوله تعالى (ومكروا ومكر الله)(٤) فقد تجوز بكلمة المكر عن عقوبته لأنه سبب لهما فالمكر فى جانب الله المراد به العقوبة ومنه قوله تعالى : (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار)(٥) لما

(١) سورة الاعراف آية ٢٧
(٢) سورة النساء آية ١٠
(٣) سورة البقرة آية ١٩٤
(٤) سورة آل عمران آية ٥٤
(٥) سورة إبراهيم آية ٢٨

أمروهم بالكفر الذى يوجب حلول النار أسند ذلك إليهم لأنهم أمروهم به والحقيقة أن الله هو المحل لدار البوار وسبب إحلالها هو كفرهم وسبب كفرهم هو أمر عظمائهم أياهم بالكفر المقتضى لحلول النار .

الثالث : إطلاق اسم الملزوم على اللازم مثال ذلك قوله (صم وبكم فى الظلمات)(١) فإن الأصل « صم وبكم وعمى » بدليل قوله تعالى فى موضع آخر (صم بكم عمى)(٢) .

لكن جاء بالظلمات لأنها من لوازم العمى ومنه قوله تعالى (أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون)(٣) .

والمراد بالسلطان البرهان والمعنى أى أنزلنا برهاناً يستدلون به وهو يرشدهم ويدلهم فقد سمى الدلالة كلاماً باعتبارها من لوازم الكلام .

الرابع : إطلاق اسم اللازم على الملزوم وهو عكس سابقه مثال ذلك :

قوله تعالى : (فلولا أنه كان من المسبحين ، للبس فى بطنه إلى يوم يبعثون)(٤) .

فالمراد بالتسبيح هنا الصلاة لأن التسبيح من لوازم الصلاة .

ومنه قوله تعالى : (إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين)(٥) .
والمعنى هل يفعل ؟(٥) أطلق الاستطاعة على الفعل لأنها لازمة له .

(١) سورة الأنعام آية ٣٩ (٢) سورة البقرة آية ١٨
(٣) سورة الروم آية ٣٥ (٤) سورة الصافات آية ١٤٣، ١٤٤
(٥) سورة المائدة آية ١١٢

الخامس : إطلاق الجمع وإرادة المثنى مثال ذلك قوله تعالى : (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما)(١) والأصل قد صغا قلبكما فأطلق الجمع على المثنى ولم يثن لكراهة إجتماع تثنيتين إذا كان المراد ظاهراً فقد قال العلماء :الجمع فى (قلوبكما) دون التثنية لكراهة إجتماع تثنيتين مع ظهور المراد وهو فى مثل ذلك أكثر استعمالا من التثنية والإفراد .

السادس : تسمية الشىء بما كان عليه مثال ذلك قوله تعالى (وآتوا اليتامى أموالهم)(٢) .

والمعنى وآتوا الذين كانوا يتامى قبل البلوغ لأنه لا يكون الإنسان يتيما إلا قبل البلوغ فإذا بلغ زال عنه وصف اليتم فعبر بلفظ اليتامى بما كانوا عليه حقيقة ومنه أيضا قوله تعالى (ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد)(٣) .

ومن المعلوم أنهن إذا متن لم يكن أزواجا ولكن عبر بلفظ الأزواج لاعتبار الأصل ومنه قوله تعالى (إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى)(٤) .

فقد سماه الله مجرما باعتبار ما كان عليه حاله فى الدنيا من الإجرام وإن أتى يوم القيامة صاغرا ذليلا مهينا لكن التعبير جاء حسب الأصل .

السابع : تسمية الشىء بما يصير إليه مثال ذلك قوله تعالى (إنى أرانى أحمل فوق رأس خبزاً)(٥) .

(١) سورة التحريم آية ٤ (٢) سورة النساء آية ٢
(٣) سورة النساء آية ١٢ (٤) سورة طه آية ٧٤
(٥) سورة يوسف آية ٣٦

والذى كان على رأسه هو القمح لا الخبز لإن الذى تأكل الطير منه هو القمح فأورد لفظ الخبز لأن القمح يصير خبز .

ومنه قوله تعالى (إنى أرانى أعصر خمراً)(١) واالذى كان يعصره هو العنب ولكنه عبر عنه بالخمر لأن عصر العنب يصير إلى خمر فعبر بالشىء بما يصير إليه .

ومنه قوله تعالى (حتى تنكح زوجا غيره)(٢) فقد سماه الله زوجا لأن العقد يصـــير إلى زوجية لأنها لا يمكن أن تنكح فى حال كونه زوجا لها .

ومنه قوله تعالى (فبشرناه بغلام حليم)(٣) ، وبشرناه بغلام عليم)(٤) والبشرى بغلام متصف بالعلم والحلم باعتبار ما يؤول إليه .

ومنه قوله تعالى : (وبث منهما رجالا كثيرا ونساء)(٥) والمراد ذكورا وإناثا ولكن عبر عنهما بالرجال والنساء باعتبار ما يصار إليه .

الثامن : إطلاق اسم الكل على الجزء مثال ذلك قوله تعالى (يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت)(٦) .

والمراد من الأصابع الأنامل فعبر عن الجزء بالكل وحكمة التعبير بذلك كما قال العلماء : الإشارة إلى أنهم يدخلون أناملهم فى آذانهم بغير المعتاد فرارا من الشدة فكأنهم جعلوا الأصابع(٧) ،

(١) سورة يوسف آية ٣٦ (٢) سورة البقرة آيه ٢٣٠
(٣) سورة الصافات آية ١٠١ (٤) سورة الذاريات آية ٢٨
(٥) سورة النساء آية رقم ١ (٦) سورة البقرة آية ١٩
(٧) البرهان فى علوم القرآن جـ ٢ صـ ٣٦٢

ومن ذلك قوله تعالى [والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم](١) .

والمراد بالأيدى بعضها وهو الرسغ لأن اليدين إلى المنكبين .

ومنه قوله تعالى [فمن شهد منكم الشهر فليصمه](٢) فقد أطلق الشهر وهو اسم للثلاثين ليلة وأراد جزء منه وقد ستشكل الإمام عبد الملك بن عبدالله الفقيه الشافعى فى تفسيره من جهة أن الجزاء إنما يكون بعد تمام الشرط والشرط أن يشهد الشهر وهو اسم لثلاثين يوما وحاصل جوابه أنه أوقع الشهر وأراد جزءا منه وإرادة الكل باسم الجزء مجاز شهر(٣) .

وإن كان لابن عباس وابن عمر وعلى رأى فى تفسير هذه الآية حيث قالوا إن المعنى من شهد أول الشهر فليصم جميعه وإن سافر فى أثنائه(٤) .

التاسع : إطلاق اسم الجزء على الكل وهو عكس سابقه مثال ذلك قوله تعالى [فولوا وجوهكم شطره](٥) والمراد الذوات فالاستقبال إنما يجب بالصدر .

ومنه قوله تعالى [واضربوا منهم كل بنان](٦) .

فالبنان الأصابع تجوز بها عن الأيدى والأرجل وقد ذهب بعض العلماء إلى المراد بالبنان حقيقتها وليس المجـــاز وهناك من فسر البنان بالأطراف مطلقا لوقوعها فى مقابلة الأعناق(٧) .

(١) سورة المائدة آية ٣٨ (٢) سورة البقرة آية ١٨٥
(٣) البرهان فى علوم القرآن جـ ٢ صـ ٢٦٣
(٤) الإتقان فى علوم القرآن جـ ٢ صـ ٣٦
(٥) سورة البقرة آية ١٤٤ (٦) سورة الأنفال آية ١٢
(٧) روح المعانى جـ ٩ صـ ١٧٨ بتصرف

العاشر : إطلاق اسم العام وإرادة الخاص فقال ذلك قوله تعالى [يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم](١) فلفظ الناس عام لكنه خرج منه الأطفال والمجانين فهم غير مكلفين فقد أطلق لفظ عمـــوم الناس وأراد الخصوص ومنه قوله تعالى [ويستغفرون لمن فى الأرض](٢) .

والمراد بهذا العموم المؤمنون خاصة يؤيد هذا قوله تعالى فى موضع آخر [ويستغفرون للذين آمنوا](٣) ومنه قوله تعالى [إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين](٤) .

والمراد بهـــذا العموم على زمانه لا جميع العالمين ومنه قوله تعالى [قالت الأعراب آمنا](٥) ولم يصدر هذا من جميعهم وإنما قاله فريق منهم فقد نزلت هذه الآية فى بنى أسد بن خزيمة وهى قبيلة تجاور المدينة أظهروا الإسلام وقلوبهم دغلة ، إنما يحبون المغانم وعرض الدنيا ويروى أنهم قدموا المدينة فى سنة جدبه فأظهروا الشهادتين ، وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ وجئناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون بذكر ذلك الصدقة ويمنون به على النبي عليه الصلاة والسلام .

وقيل هم مزينه وجهينة وأسلم وأشجع وغفار قالوا : آمنا فاستخفينا الكرامة فرد الله تعالى عليهم(٦) وعلى كل حال فليس المراد العموم وإنما المراد من الأعراب الخصوص .

الحادى عشر : إطلاق اسم الخاص وإرادة العام وهو عكس سابقه

(١) سورة الحج آية ١ (٢) سورة الشورى آية ٥
(٣) سورة غافر آية ٧ (٤) سورة آل عمران آية ٣٣
(٥) سورة الحجرات آية ١٤ (٦) روح المعانى جـ ٢٦ ص ١٦٧

ومثال ذلك قوله تعالى [يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما](١) فالخطاب موجه للنبي والمراد به عموم الناس ومنه قوله تعالى [إنى رسول رب العالمين](٢) والمراد به الرسل عامة ومنه قوله تعالى [هم العـــدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون](٣) والمراد الأعداء .

الثانى عشر : الزيادة مثال ذلك قوله تعالى [ليس كمثله شيء](٤) والمعنى ليس كهو شيء فتكون « مثل » هنا صلة أو المعنى: ليس مثله شيء فتكون « الكاف » حينئذ صلة والقول بزيادة الحـــرف أيسر من القول بزيادة الاسم وينبغى للمفسر أن يقول فى شأن الحرف الزائد إنه حرف صله حتى لا يظن أن فى القرآن حرفاً زائدا وإن ذهب النحاة إلى ذلك فى كتبهم فلكل أهل علم إصطلاح ومنه قوله تعالى [وما الله بغافل عما تعملون](٥).

فالباء هنا صلة ومنه قوله تعالى [أليس الله بكاف عبده](٦) فالباء هنا صلة والمعنى « أليس الله كافيا عبده » ؟

الثالث عشر : النقصان مثال ذلك قوله تعالى [وسئل القرية(٧)] والمعنى واسأل أهل القرية فقد حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ومنه قوله تعالى [ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك(٨)] أى على ألسنة رسلك ومنه قوله تعالى [وأشربوا فى قلوبهم العجل](٩) أى أشربوا فى قلوبهم حب العجل .

(١) سورة الأحزاب آية ١ (٢) سورة الزخرف آية ٤٦
(٣) سورة المنافقون آية ٤ (٤) سورة الشورى آية ١١
(٥) سورة البقرة آيه ٧٤ (٦) سورة الزمر آية ٣٦
(٧) سورة يوسف آية ٨٢ (٨) سورة آل عمران آية ١٩٤
(٩) سورة البقرة آية ٩٣

الرابع عشر : إقامة صيغة مقام أخرى من ذلك ما يلى :

(ا) إسم الفاعل بمعنى اسم المفعول مثال ذلك قوله تعالى [لا عاصم اليوم من أمر الله](١) والمعنى لا معصوم من أمر الله إلا من رحمة الله ومنه قوله تعالى [أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمنا](٢) أى حرماً مأموناً .

(ب) اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل ومنه قوله تعالى [أنه كان وعده مأتيا](٢) أى آتيا ومنه قوله تعالى [وجعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً](٣) أى حجاباً ساتراً ويجوز أن يكون اسم المفعول على بابه أى مستوراً عن العيون لا يحس به أحد(٤) .

(ح) إيراد فعيل بمعنى مفعول مثاله قوله تعالى [وكان الكافر على ربه ظهيراً(٥)] أى مظهوراً فيه ومنه قوله تعالى [فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم](٦) أى عذاب مؤلم والسر فى إيراد صيغة فعيل لأنها أبلغ من اسم المفعول فمؤلم يجوز أن يكون قد آلم ثم زال الألم . أما أليم وهى صيغة فعيل فإنها تدل على الملازمة فالألم ملازم لهم لا يزول عنهم أبداً .

(د) إقامة الفاعل مقام المصدر مثال ذلك قوله تعالى [ليس لوقعتها كاذبة](٧) أى ليس لوقعتها تكذيب .

(هـ) إيراد اسم المفعول مقام المصدر مثال ذلك قوله تعالى [بأيكم المفتون](٨) أى بأيكم الفتنة .

---

(١) سورة العنكبوت آية ٦٧
(٢) سورة مريم آية ٦١ (٣) سورة الإسراء آية ٤٥
(٤) الإتقان فى علوم القرآن جـ٢ صـ ٣٨ بتصرف .
(٥) سورة الفرقان آية ٥٥ (٦) سورة البقرة آية ١٧٨
(٧) سورة الواقعة آية ٢ (٨) سورة القلم آية ٦

(و) إيراد المصدر على صيغة فعول مثال ذلك قوله تعالى [لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً](١) أى لمن أراد التذكر أو أراد شكراً ومنه قوله تعالى [لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً](٢) أى لا نريد منكم جزاء ولا شكراً .

(ز) أراد المصدر بمعنى المفعول مثال ذلك قوله تعالى [ولا يحيطون بشىء من علمه](٣) أى ولا يحيطون بشىء من معلومه إلا بمشيئته ومنه قوله [ذلك مبلغهم من العلم](٤) أى مبلغهم من المعلوم ومنه قوله تعالى [وقد خاب من حمل ظلماً](٥) أى مظلوماً ومنه قوله تعالى [وجاءوا على قميصه بدم كذب](٦) أى مكذوباً فيه .

مجىء المفعول بمعنى المصدر . وهو عكس سابقه مثال قوله تعالى [وإنه لذو علم لما علمناه](٧) وإنه لذو معلوم لما علمناه .

(ط) وصف الشىء بالمصدر مثال قوله تعالى [فإنهم عدو لى(٨)] فقد وحده لأنه فى معنى المصدر كأنه قال « فإنهم عداوة » .

(ى) إيراد فعيل بمعنى الجمع مثال ذلك قوله تعالى [والملائكة بعد ذلك ظهير](٩) أى والملائكة بعد ذلك مظاهرون واختير الإفراد لجعلهم كالشىء الواحد .

وقيل أن كلمة ظهير خبر عن جبريل والأول أرجح ومنه قوله [وحسن

---

(١) سورة الفرقان آية ٦٢ (٢) سورة الإنسان آية ٩
(٣) سورة البقرة آية ٢٥٥ (٤) سورة النجم آية ٣٠
(٥) سورة طه آية ١١١ (٦) سورة يوسف آية ١٨
(٧) سورة يوسف آية ٦٨ (٨) سورة الشعراء آية ٧٧
(٩) سورة التحريم آية ٤

أولئك رفيقا](١) أى رفقاء للمطيعين أو رفقاء لهم ولم يجمع لأن صيغة فعيل يستوى فيه المفرد والجمع .

(ك) إطلاق الخبر وإرادة الأمر مثال ذلك قوله تعالى [والوالدات يرضعن](٢) والمعنى ليرضع الوالدات أولادهن ... إلخ . ومنه قوله تعالى [والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً](٣) والمعنى يتربص المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً ومنه قوله تعالى [يزرعون سبع سنين دأبا(٤)] والمعنى ازرعوا سبع سنين بدليل مابعدها مباشرة [فما حصدتم فذروه فى سنبله إلا قليلا مما تأكلون](٥)

(ل) إطلاق الأمر وإرادة الخبر وهو خلاف سابقه مثال ذلك قوله تعالى [وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم](٦) والمعنى نحمل خطاياكم وقال بعض العلماء : الأمر أبلغ من الخبر لتضمنه اللزوم(٧) نحو إن زرتنا فلنكرمك يريدون تأكيد إيجاب الإكرام عليهم ومنه قوله تعالى [إنما أمرنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون](٧) فكلمة [كن] لفظه أمر والمراد به بالخبر والمعنى إنما أمرنا لشىء أردناه أن نقوله يكون فيكون أو على تقدير خبر لمبتدأ محذوف أى فهو يكون وذلك فقد أجمع القراء على رفع كلمة [فيكون] ومنعوا فيها النصب إلا ما روى عن ابن عامر وسوغ النصب لكونه بصيغة الأمر(٩)

(١) سورة النساء آية ١٩ (٢) سورة البقرة ٢٣٣
(٣) سورة البقرة آية ٢٣٤ (٤) سورة يوسف آية ٤٧
(٥) سورة يوسف ٤٧ (٦) سورة العنكبوت آية ١٢
(٧) الإتقان فى علوم القرآن جـ٢ ص ٣٩
(٨) سورة النحل آية ٤٠
(٩) البرهان فى علوم القرآن جـ ٢ ص ٢٩٠ بتصرف .

(م) اطلاق الخبر وارادة النهى : مثال ذلك قوله تعالى (لا تعبدون إلا الله)(١) والمعنى لا تعبدوا إلا الله ، ومنه قوله (لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم)(٢) والمعنى لا تسفكوا دماءكم ولا تخرجوا أنفسكم ومنه قوله تعالى (وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله)(٣) والمعنى ولا تنفقوا .

الخامس عشر : اطلاق اسم المطلق على المقيد مثال ذلك قوله تعالى فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين)(٤) فقد اسند الفعل إلى الكل مع أن المباشر له هو البعض من باب المجاز لملابسة الكل لذلك الفعل لكونه بين ظهرانيهم ، وهم متفقون على الكفر والضلال ، أو أسند الفعل الى الكل لرضاهم به أو لأمرهم جميعهم به كما يشير الى ذلك قوله تعالى فى موضع آخر (فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر)(٥) .

والذى عقر الناقة هو قدار بن سالف أحيمر ثمود وكان أجرأهم(٦) .

السادس عشر : إطلاق اسم المقيد على المطلق وهو خلاف سابقه مثال ذلك قوله تعالى : تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم)(٧) والمراد بالكلمة الشهادة وهى مكونة من عدة كلمات .

السابع عشر : إطلاق اسم المحل على الحال مثال ذلك قوله تعالى

(١) سورة البقرة آية ٨٣ (٢) سورة البقرة آية ٨٤
(٣) سورة البقرة ٢٧٢ (٤) سورة الإعراف آية ٧٧
(٥) سورة القمر آية ٢٩
(٦) روح المعانى جـ٢٧ ص ٨٩ طبعة بيروت
(٧) سورة آل عمران آية ٦٤

(وفرش مرفوعة)(١) والمراد بها النساء لأن المرأة يكنى عنها بالفراش كما يكنى عنها باللباس ورفعهن فى الأقدار والمنازل أى وفرش مرفوعة نساؤه بدليل قوله تعالى (إنا أنشأناهن إنشاء ، فجعلناهن أبكارا عربا أترابا)(٢) ومنه قوله تعالى (فليدع ناديه)(٣) فالنادى هو المجلس وقد أطلق اسم المحل على من حل فيه ويجوز أن يكون من باب الحذف أى فليدع أهل نادية ، ويحتمل أن يكون الإسناد فيه مجازى ومن ذلك التعبير بالقلب عن العقل مثال ذلك قوله تعالى (لهم قلوب لا يفقهون بها)(٤) ، أى عقول والتعبير عن الأفواه بالألسن كقوله تعالى (الذين قالوا آمنا بأفواههم)(٥) أى بالسنتهم ومنه قوله تعالى (يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم)(٦) أى يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم والتعبير عن الألسنة بالأفواه اشارة إلى أن كلامهم لم يتجاوز الشفاه وأنه لا يعبر عن حقيقة ما فى قلوبهم ومنه التعبير عن اللغات بالألسن كقوله تعالى (بلسان عربى مبين)(٧)أى بلغة عربية بينة واضحة فى ذاتها . بل ومبينة وموضحة لغيرها والتعبير عن القرية بساكنيها وأهلها كقوله تعالى (واسأل القرية التى كنا فيها)(٨) أى أهلها وسكانها .

الثامن عشر : إطلاق اسم الحال على المحل مثال ذلك قوله تعالى (وأما

(١) سورة الواقعه آية ٣٤
(٢) سورة الواقعه آية ٣٥ — ٣٧
(٣) سورة العلق آية ١٧
(٤) سورة الإعراف آية ١٧٩
(٥) سورة المائدة آية ٤١
(٦) سورة آل عمران آية ١٦٧
(٧) سورة الشعراء آية ١٩٥
(٨) سورة يوسف آية ٨٢

الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون)(١) أى الجنة فهو من التعبير بالحال عن المحل والظرفية حقيقية ويجوز أن يراد بها الثواب فتكون الظرفية حينئذ مجازية ومنه قوله تعالى (إذ يريكهم الله فى منامك قليلا)(٢) أى فى عينيك فقد فسر الحسن رضى الله عنه المقام بالعين لأنها محل النوم كما يقال للقطيفه المنامة لأنها يقام فيها فلم تكن رؤيا بل كانت رؤية بالعين)(٣) ومنه قوله تعالى (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا)(٤) فقد وصف البلد بالأمن وهى صفة لأهله .

ومنه قوله تعالى (بل مكر الليل والنهار)(٥) أى مكر فى الليل ومنه قوله تعالى (بلدة طيبة ورب غفور)(٦) فقد وصفها بالطيب وهى صفة لهوائها ونسيمها ومنه قوله تعالى (يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد)(٧) فإن أخذ الزينة أمر غير ممكن لكونها مصدرا فيكون المراد محل الزينة ولا يجب أخذ الزينة للمسجد نفسه فيكون حينئذ المراد بالمسجد الصلاة فأطلق اسم المحل على الحال وفى الزينة أطلق اسم الحال على المحل .

التاسع عشر : تسمية الداعى إلى الشىء باسم الصارف عنه لما بينهما من الارتباط والتعلق ومنه قوله تعالى (ما منعك ألا تسجد)(٨) أى ما حملك ألا تسجد فإن لا غير زائدة فالمنع مجاز عن الإلجاء والاضطرار

(١) سورة آل عمران ١٠٧ (٢) سورة الأنفال آية ٤٣
(٣) روح المعانى حـ ١٠ صـ ٨ طبعة بيروت بتصرف
(٤) سورة إبراهيم آية ٣٥ (٥) سورة سبأ آية ٣٣
(٦) سورة سبأ آية ١٥ (٧) سورة الأعراف آية ٣١
(٨) سورة الأعراف آية ١٢

ويكون المعنى ما إضطرك إلى أن لا تسجد ويجوز أن تكون لا زائدة وقال بعض العلماء انه هـــو المشهور بدليل قوله تعالى فى موضع آخر (قال ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى أستكبرت أم كنت من العالين)(١) .

وقد جاءت فى موضع آخر كذلك قال تعالى (لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شىء من فضل الله)(٢).

والمعنى ليعلم أهل الكتاب وهى لتأكيد معنى الفعل وتحقيقه .

ومما يجدر التنبيه إليه أن القول بالزيادة اصطلاح نحوى ونحن نقول إنها صلة حتى لا يلتبس فى الذهن أن فى القرآن شيئا زائدا لا فائدة منه .

العشرون : إطلاق اسم الضدين على الآخر مثال ذلك قوله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها)(٣) وهى من المبتدىء سيئة ولكنها من الله حسنة فالجزاء على العقوبة عدل ولكن سميت بالسيئة من باب المشاكلة اللفظية وسميت كلتا الفعلتين سيئة لأنها تسوء من نزلت به وفيه رعاية لحقيقة اللفظ وإشارة إلى أن الانتصار مع كونه محموداً إنما يحمد بشرط رعاية المماثلة ومنه قوله تعالى (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين)(٤) .

فقد حمل اللفظ على اللفظ فخرج الانتقام بلفظ الذنب لأن الله تعالى لا يمكر .

---

(١) سورة ص آية ٧٥ (٢) سورة الحديد آية ٢٩
(٣) سورة الشورى آية ٤٠
(٤) سورة آل عمران آية ٥٤

فالمكر معناه الشر ومنه مكر الليل إذا أظلم ، وقيل : معناه الالتفاف ومنه المكور لضرب من الشجر ذى التفاف ، واحده مكر ، والممكورة من النساء الملتفة الخلق مطويته وفسره بعض العلماء بصرف الغير عما يقصده بحيلة وفسره آخرون باختداع الشخص لإيقاعه فى الضرر ، وفرقوا بين المكر والحيلة بأن الحيلة قد تكون لإظهار ما يتعذر من الفعل ويعسر من غير قصد إلى الاضرار ، أما المكر فهو حيلة على الشخص توقعه فى مثل الوهق(١) .

ولهذا فهو لا يطلق على الله تعالى إلا على سبيل المشاكلة اللفظية ومنه قوله تعالى (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان)(٢) .

فالمراد بالاحسان الأول الطاعة وسمى بذلك لأنه مقابل لجزاء الله تعالى وهو الإحسان والمعنى هل جزاء الطاعة إلا الثواب من الله تعالى ومنه قوله تعالى (فبشرهم بعذاب أليم)(٣) فالبشارة لا تكون إلا فى الخير كما أن النذاره لا تكون إلا فى الشر كما قال تعالى (لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسنا)(٤) ، لكن عبر فى جانب العذاب بالبشاره من باب التهكم والسخرية بهم ومنه قوله تعالى (قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون)(٥) .

والفعل الثانى لا يسمى سخرية وإطلاق السخرية عليهم حقيقة ، أما إطلاقها على النبى ﷺ فهى على سبيل المشاكلة اللفظية لأنها لا تليق بالأنبياء

---

(١) روح المعانى حـ ٣ ص ١٧٨ بتصرف طبعة بيروت
(٢) سورة الرحمن آية ٦٠ (٣) سورة التوبة آية ٣٤
(٤) سورة الكهف آية ٢ (٥) سورة هود آية ١٤

عليهم السلام وفسرها بعض العلماء بالاستجهال وهو مجاز لأنه سبب السخرية فأطلقت السخرية وأريد سببها أو المراد بالسخرية الثانية المجازاة أى إن تسخروا منا فإنا نجازيكم على سخريتكم أو نشمت بكم عند الغرق والعذاب .

الحادى والعشرون : إطلاق اسم آلة الشىء عليه مثال ذلك [تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر](١) أى بمرأى منا فإن العين آلة الرؤية والمعنى تجرى الفلك فى الماء بحفظنا وكلاءتنا .

ومنه قوله تعالى [وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم](٢) أى بلغة قومه ومنه قوله تعالى [واجعل لى لسان صدق فى الآخرين](٣) أى اجعل لى ذكراً طيباً فى الآخرين فقد عبر عن الذكر باللسان لأن اللسان آلة الذكر .

الثانى والعشرون : إضافة الفعل إلى ما ليس بفاعل له فى الحقيقة وذلك :—

(أ) إما على التشبيه . مثال ذلك قوله تعالى [فوجد فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه](٤) فقد شبه ميل الجدار للوقوع بسببه المريد له فالمراد من إرادة السقوط قربه ، فهو على سبيل الاستعارة بأنه يشبه قرب السقوط بالإرادة لما فيهما من الميل ويجوز ان يكون على سبيل المجاز المرسل بعلاقة تسبب إرادة السقوط لقربه .

(ب) وإما لأنه وقع فيه ذلك الفعل مثال ذلك قوله تعالى [الم . غلبت

(١) سورة القمر آية ١٤ . (٢) سورة إبراهيم آية ٤ .
(٣) سورة الشعراء آية ٨٤ . (٤) سورة الكهف آية ٧٧ .

الروم(١)] فالغلبة نزلت بهم من غيرهم وبعد ذلك قال جل شأنه [وهم من بعد غلبهم سيغلبون](٢) فقد أسند الغلبة إليهم ، والأمر كذلك . فالغلبة وإن كانت لغيرهم فهى متصلة بهم لنزولها بهم ومنه قوله تعالى [ولمن خاف مقام ربه جنتان](٣) و[مقام] اسم مكان والمراد به مكان وقوف الخلق فى يوم القيامة للحساب والإضافة إليه جل شأنه لامية اختصاصه لأن الملك لله وحده أو ولمن خاف مقامه عند ربه بناء على أن [مقام] مصدر أو اسم مكان وهو للخائف نفسه وإسناده إلى الرب لأنه عنده جل شأنه ويجوز أن يكون المعنى ولمن خاف قيام ربه وكونه مهيمنا عليه ومنه قوله تعالى [ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد](٤) : أى من خاف مقامه بين يدى ومنه قوله تعالى [ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيما وأسيراً](٥) . فالحب فى ظاهره مسند إلى الطعام وهو فى الحقيقة مسند إلى صاحبه ويجوز أن يسند إلى الله تعالى ويكون المعنى ويطعمون الطعام على حب الله أى ابتغاء وجهه ولكن المعنى الأول أوجه يؤيد هذا قوله تعالى [لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون](٦) وقوله تعالى [وآتى المال على حبه](٧) .

(ج) وإما لوقوعه فيه مثال ذلك قوله تعالى [يوم يجعل الولدان شيبا](٨) ضمير [يجعل] راجع إلى [يوم] أى يجعل اليوم الولدان شيبا فالإسناد مجازى وأسند الفعل إلى اليوم لوقوعه فيه ويجوز أن يكون الإسناد حقيقة وحينئذ يكون الضمير فى قوله [يجعل] لله تعالى . والرابط محذوف أى يجعل الله فيه الولدان .

(١) سورة الروم آية ١ ، ٢ . (٢) سورة الروم آية ٣ .
(٣) سورة الرحمن آية ٤٦ . (٤) سورة إبراهيم آية ١٤ .
(٥) سورة الإنسان آية ٨ . (٦) سورة آل عمران آية ٩٢ .
(٧) سورة البقرة آية ١٧٧ . (٨) سورة المزمل آية ١٧ :

ومما هو جدير بالذكر أن ننبه إلى معنى شيب الولدان فقد ذهب بعض العلماء إلى أنه حقيقة ويصير الولدان شيوخا فتشيب الصبيان وتبيض شعورهم من شدة هول هذا اليوم وقيل هذا مثل فى شدة هول يوم القيامة دون أن يكون هناك شيب حقيقة فإنهم يقولون فى اليوم الشديد يوم يشيب نواصى الأطفال والأصل فى ذلك أن الهموم إذا تفاقمت على المرء أضعفت قواه وأسرعت فيه الشيب(١) .

ولا مانع من إرادة المعنى الأول فالتعبير بالشىء على ظاهره ولا مقتضى بصرفه عن حقيقته بدون مقتضى .

(د) وإما لأنه سببه مثال ذلك قوله تعالى [وأحلوا قومهم دار البوار](٢) فقد أسند الإحلال إلى الكفار والفاعل فى الحقيقة هو الله تعالى لكنه أضيف إلى كبرائهم لأنه سببه ومنه قوله تعالى [فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون](٣) فقد أسندت زيادة الإيمان إلى الآيات باعتبار أنها السبب فى ذلك .

الثالث والعشرون : إطلاق الأمر وإرادة التهديد والوعيد مثال ذلك قوله تعالى (اعملوا ماشئتم إنه بما تعملون بصير)(٤) فلفظ يعملوا فعل أمر والأمر إما أن يدل على الوجوب أو يراد به الندب أو الإباحة وكل ذلك بقرينة تدل عليه وليس بشىء من ذلك يراد من هذا الفعل ولكن يراد منه التهديد والوعيد الشديد للملحدين الذين يلقون فى جهنم وليس المراد حقيقة إذ لا يعقل أن الله تعالى يأمرهم بفعل الكفر أو المعصية ومنه قوله تعالى (وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من

(١) روح المعانى جـ٢٩ ص ١٠٨ — ١٠٩ طبعة بيروت بتصرف .
(٢) سورة إبراهيم آية ٢٨ . (٣) سورة التوبة آية ١٢٤ .
(٤) سورة فصلت آية ٤٠ .

دون الله إن كنتم صادقين)(١) فلفظ (فأتوا) فعل أمر والمراد منه التحدى وإظهار عجز المشركين حتى إذا ما تبين لهم عجزهم كان الواجب عليهم التصديق بآيات الله وأن القرآن من عند الله وليس من مقول محمد ﷺ وبالتالى فمحمد ﷺ صادق فى دعوى الرسالة بدليل مابعدها (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين(٢) فالأمر فيما سبق وإن كان الغرض منه التحدى وإظهار العجز فهو يتضمن معنى التهديد إن لم يؤمنوا بالقرآن وبمن نزل عليه .

الرابع والعشرون : إطلاق الفعل والمراد مقاربته ومشارفته لا حقيقته مثال ذلك قوله تعالى (فإذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف)(٣) أى شارفن آخر عدتهن فالإمساك لا يكون بعد انتهاء العدة فيكون بلوغ الأجل تمامه وكماله ومنه قوله تعالى (فإذا بلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف) (٤) أى إذا أتممن العدة وأردن مراجعة الأزواج فالمراد ببلوغ الأجل إتمام العدة ولو كان المراد المقاربة لم يكن للوالى حكم فى إزالة الرجعة لأنها حينئذ بيد الزوج ولو كان الطلاق غير بائن لم يكن للوالى عليها حكم قبل تمام العدة ولا تسمى الزوجة عاضلا حتى يمنعها تمام العدة من المراجعة . ومنه قوله تعالى (كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم . فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون) (٥) أى لا يؤمنون به حتى يقاربوا الرؤية ويجوز أن يراد من الرؤية حقيقتها على أن يكون المعنى أنهم يرونه حقيقة فلا يظنونه كذباً لأنهم كانوا يكذبون بيوم القيامة وما فيه من وعيد

(١) سورة البقرة آية ٢٣ . (٢) سورة البقرة آية ٢٤ .
(٣) سورة الطلاق آية ٢ . (٤) سورة البقرة آية ٢٣٢ .
(٥) سورة الشعراء الآيتان ٢٠٠ ، ٢٠٢ .

لهم وما عليه من اشتمل عذاب جزاء كفرهم . ومنه قوله تعالى (وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم)(١) إنهم لم يصدقوا أنه كسف ساقط لعذابهم فهم سادرون فى طغيانهم بحيث لو أسقط الله عليهم حسبما قالوا (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً)(٢) لقالوا هو سحاب متراكم يمطرنا .

ومنه قولة تعالى : (ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين)(٣) ، والمراد قارب النداء لا وقوعه فى نفس الأمر بدليل دخول (الفاء) فى قوله (فقال) فإنه لو حدث النداء لسقطت وجرد الفعل من (الفاء) وكان ماذكر تفسير للنداء مثل قوله تعالى (هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء) (٤) ومثل قوله تعالى (إذ نادى ربه نداء خفيا قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا)(٥) ، فإننا نلاحظ تجرد الفاء من الفعلين فى المثالين السابقين لأن الدعاء قد حدث بالفعل وحصل فى واقع الأمر أما عند المقاربة فتظهر الفاء كما ظهر ذلك فيما سبق وذكر النحاه أن هذه الفاء تفسيرية لأنها عطفت مفسراً على مجمل كقوله « توضأ فغسل وجهه » وفائدة ذلك أن نوحا عليه السلام أراد ذلك فرد القصد إليه ولم يقع لاعن قصد(٦) .

الخامس والعشرون : إطلاق الأمر بالشىء للتلبس به والمراد دوامه واستمرار مثال ذلك قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله

(١) سورة الطور آية ٤٤ . (٢) سورة الإسراء آية ٩٢ .
(٣) سورة هود آية ٤٥ (٤) سورة آل عمران آية ٣٨
(٥) سورة مريم الآيات ٣ — ٤
(٦) البرهان فى علوم القرآن حـ ٢ صـ ٢٩٤

والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل)(١) ، ومعنى آمنوا بالله أى أثبتوا على الإيمان وداوموا عليه فالخطاب للمسلمين كافة ، وقيل للمسلمين الموجودين عند نزول الآية ويكون المعنى بناء عليه حينئذ ازدادوا فى الإيمان طمأنينة ويقينا ويكون المعنى آمنوا بما ذكر على وجه تحصيل إلى أصل ويجوز أن يكون الخطاب للمنافقين ويكون المعنى حينئذ التخصص بناء على أن بعضهم كان على وجه الإجمال وأيا ما كان ، فلا يلزم أخلصوا الإيمان وقيل لمؤمنى أهل الكتابين وقيل للمشركين وقيل لجميع الخلق لإيمانهم يوم أخذ الميثاق(٢) يشير إلى ذلك قوله تعالى : (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى)(٣) والسؤال فى آية النساء غير وارد لأن الأمر لا يتعلق بالماضى كما يتعلق بالحالى ولكنه يتعلق بالمستقبل المعدوم حالة توجه الخطاب فليس ذلك تحصيلا للحاصل ولكنه تحصيل للمعدوم ولا فرق بين أن يكون المخاطب حالة الخطاب على ذلك والحال أولا ، لأن الذى هو عليه عند الخطاب مثل المأمور به لا نفس المأمور به .

والحاصل مهما كان المراد من المخاطب أن الكل مأمور بالإنشاء فالمؤمن ينشىء ما سبق له أمثاله ، والكافر ينشىء ما لم يسبق منه أمثاله .

السادس والعشرون : إطلاق إسم المبشر على المبشر به مثال ذلك :

(ا) قوله تعالى (بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار)(٤) ، وتقدير الكلام بشراكم دخول جنات ادخلوا جنات ولابد من هذا التقدير لأن البشرى معنى من المعانى والجنات ذات ولا يخبر عن المعنى بالذات ،

(١) سورة النساء آية ١٣٦
(٢) روح المعانى حـ ٥ صـ ١٧٠ بتصرف .
(٣) سورة الأعراف آية ١٧٢ (٤) سورة الحديد آية رقم ١٢

ولكن يخبر عن المعنى بالمعنى وعن الذات بالذات فقدر دخول ادخلوهما معنى من المعانى حتى تتلائم مع البشرى التى هى معنى فحينئذ يكون الإخبار عن المعنى بالمعنى .

(ب) إطلاق إسم المقول على القول مثال ذلك قوله تعالى : (سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا)(١) أى تنزيه الله تعالى من مدلول قولهم .

ومنه قوله تعالى (قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا)(٢) أى قل لو كان معه آلهة كائنا مشابها لمقولهم إلخ .

ومنه قوله تعالى (فبرأه الله مما قالوا)(٣) أى من مقولهم .

(ج) إطلاق الإسم على المسمى مثال ذلك قوله تعالى:(ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وءاباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان)(٤) .

والمراد ما تعبدون من دونه إلا مسميات سميتموها ... إلخ .

ومنه قوله تعالى (سبح اسم ربك الأعلى)(٥) أى سبح ربك ، فالمراد تنزيه الذات ويصح أن تنزه اسماء الله تعالى الدالة على الكمال مما لا يصح فيه من خلافه والمعنى الأول أوجه وهو المناسب لما نحن بصدد بيانه .

(د) إطلاق إسم الكلمة على المتكلم مثال ذلك قوله تعالى (لا تبديل لكلمات الله)(٦) والمعنى لا مبدل لمقتضى عذاب الله سبحانه وتعالى ومنه قوله تعالى (إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم)(٧)

(١) سورة الإسراء ٤٣
(٢) سورة الإسراء ٤٢ (٣) سورة الأحزاب آية ٦٩
(٤) سورة يوسف آية ٤٠ (٥) سورة الأعلى آية ١
(٦) سورة يونس آية ٦٤ (٧) سورة آل عمران آية ٤٥

فالمراد بالكلمة (المسيح) عليه السلام وقد أطلق الكلمة علية تجوزا لأن عيسى عليه السلام قد تكون بالكلمة وخلق بها من غير أب يؤيد هذا قوله تعالى (وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين) والكلمة التى بمعنى الكلام لا تتصف بذلك .

(هـ) إطلاق إسم اليمين على المقسم به مثال ذلك قوله تعالى : (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم)(١) والمعنى لا تجعلوا يمين الله تعالى وقسمه مانعا لما تحلفون عليه من جوامع الخير والتقوى بين الناس .

(و) إطلاق الهوى عن المهوى مثال ذلك قوله تعالى : (ونهى النفس عن الهوى)(٢) أى ونهى النفس عما تهواه من المعاصى ، فإنه لا يصح نهى النفس عن ميلها فإن الله لا يكلف النفس بما تطيق قال تعالى (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)(٣) أو يكون هناك حذف فى الكلام والتقدير ونهى النفس عن اتباع الهوى .

تنبيه : من المجاز التجوز عن المجاز بالمجاز وتعريفه : هو أن نجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بالنسبة إلى مجاز آخر فنتجوز بالمجاز الأول عن الثانى لعلاقة تكون بينهما(٤) مثال ذلك قوله تعالى (علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا)(٥) فقد تجوز عن الوطء بلفظ السر لأنه فى الغالب لا يقع إلا فى السر وتجوز بالسر عن العقد لأنه مسبب عنه ولم يجعل من أول الأمر عبارة عن العقد لأنه

(١) سورة البقرة آية ٢٢٤ (٢) سورة النازعات آية ٤٠
(٣) سورة البقرة آية ٢٨٦
(٤) البرهان فى علوم القرآن جـ ٢ صـ ٢٩٨ الإتقان فى علوم القرآن جـ ٢ صـ ٤١ بتصرف .
(٥) سورة البقرة آية ٢٣٥

لا مناسبة بينهما فى الظاهر وإرادة العقد من ذلك لما بينهما من السببية ، والمسببية ، فالصحيح للمجاز الأول الملازمة والثانى السببية ويكون المعنى حينئذ ، لا تواعدوهن عقد نكاح ، ومنه قوله تعالى (يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا)(١) فليس المنزل عليهم فى الأصل نفس اللباس بل المنزل عليهم هو الماء المنبت للزرع التى نجد منه الغزل المنسوج منه اللباس .

وبعد هذا العرض يظهر لنا بوضوح روعة المجاز وحسنه فهو بحق شطر الحسن وهو ابلغ من الحقيقة .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

(١) سورة الأعراف آية ٢٦